المشرق

تكريس
لبنان الكبير
والطائفة المارونية
لقلب يسوع الاقدس

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

قد اعلن غبطة الشيخ الجليل ورأس الطائفة المارونيّة السامي الشرف والكلّي الطوبى مار الياس بطرس الحويّك بطريرك انطاكية وسائر المشرق في منشوره الصادر في ٨ كانون الاوّل ١٩٢٠ بانّهُ عوّل على تكريس طائفتهِ الكريمة لقلب يسوع الاقدس وان يجعل لبنان واهلهُ تحت كنفهِ الالهي وحماهُ الخاصّ . وذلك من باب مقرفة الجميل لما نالهُ لبنان من الاستقلال واتّساع الحدود تحت نظارة الدولة الفرنسويّة المحبوبة

ولا غرو فانَّ غبطتهُ لما عزَل على السفر الى فرنسة في اواسط تشرين سنة ١٩١٩ ليدافع عن حقوق لبنان « شعر بهيبة المهمَّة الخطيرة التي القاها اهلهُ على عاتقهِ لما كان من تعاكس النيَّات وتشاكس السياسة حول تلك المسألة فلكي يستنهض غبطتهُ همَّتهُ رفع بنظرهِ الى القلب الالهي الحنون قلب يسوع الاقدس ملجأ البؤسين وملاذ الملهوفين وابتهل اليهِ بكل حرارة قلبهِ ان يسهِّل طرقهُ ويُظفيهُ لدى عظماء الارض بما حاول التماسهُ باسم اهل وطنهِ . فلم يشأ القلبُ الالهي ان يكون التجاؤهُ اليهِ عبثاً بل اراد رحمةً بهِ ومكافأة لتقوى الاجداد أن يحقِّق امانيهُ وينيلهُ بغيتهُ »

فقياماً بهذا المشروع الاثير قد عيَّن غبطتهُ موعداً لتكريس لبنان للقلب الاقدس نهار الاحد الواقع بعد عيد الجسد الالهيّ وهو التاسع والعشرون من شهر ايار الحاليّ . وقد ارتأى غبطتهُ ونعم الرأي تخليداً لذكر هذا العمل التقوي ان يُنصَب فوق احدى روابي لبنان تمثال القلب الالهي وهو اثرٌ جليل دعا جميع اللبنانيين الى الاشتراك في نفقاتهِ ليكون ذكرًا مخلَّداً لهم ولابنائهم من بعدهم

*

وليس واجبُ الشكر هو الداعي الوحيد الذي دفع رئيس الطائفة المارونيَّة الكلي الطوبى لتكريس لبنان لقلب يسوع الاقدس بل حدَتهُ اليهِ احوال الجيل وما لحق باهلهِ من الضربات الاليمة فانَّهُ بعد الحرب العوان التي كادت تضعضع اركانهُ وتبيد سكَّانهُ لم يجد غبطتهُ آسياً يضمد جراحهم ومؤاساً يجبر كسرهم كقلب ذاك الاله الذي وحدهُ امكنهُ يوماً ان يُسمع بني البشر تلك الكلمة العجيبة التي لا يستطيع انسان ان يفوه بها صادقاً فقال (متى ١١ : ٢٩) : « تعالَوا اليَّ يا جميع المتعبين والمثقلين وانا أريحكم » . ولعمري لقد طالما اختبر لبنان صحَّة هذا الوعد الثابت وليس تاريخهُ غير سلسلة نعم الربِّ اليهِ وآيات حنان قلبهِ عليهِ في النكبات التي مُني بها في سيات الاجيال المنصرمة . فاذا رفع بطرفهِ الى عرشهِ السامي وعزّ جلالهِ عرف انَّ بصرهُ لا ينقلب خاسئاً ولا يعود رجاؤهُ خائباً اذ ليس بأحدٍ غيرهِ الخلاص (اعمال ٤ : ١٢)

ثمَّ انَّ لبنان دخل اليوم في طورٍ جديد فانقشعت عنهُ تلك الظلمات الكثيفة التي كانت تركيَّة ركمتها فوق قممهِ الغرَّاء . وانكسر ذاك النير الذي ابهظ عاتقهُ مدَّة مئين

من الاعوام فلاح لاوّل مرّة رافلًا بثوب الحرّية التامّة يميس بين تخومهِ الواسعة يضمّ سواحل البحر غرباً وسهول البقاع شرقاً يبشّره كلاهما برافقهِ وخيراتهِ العميمة . فيا حبّذا البشرى لولا ما هناك من المشاكل الصعبة وعراقيل الامور التي ليس حلّها سهلًا مع ما نعهد في لبنان من اختلاف الاهواء وتباين للمصالح وانقسام الكلمة والمنازعات الدينيّة والتحزّبات المليّة . فمن يا تُرى يستطيع ان يزيل هذه العقبات ويؤلّف بين القلوب ويجرّدها عن الغايات الشخصيّة لتسعى وراء الخير العامّ ؟ أليس ذاك الذي بشّر به الانبياء كرئيس السلام (اشعيا ٩ : ٦) واعلن الملائكة بملك سلامهِ في مهدهِ (لوقا ٢ : ١٤) ولم يزل يكرّر على تلاميذهِ رغبتهُ الحميمة في محبّتهم بعضهم لبعض بل في محبّة اعدائهم وظالميهم وكان آخر ما طلبهُ من ابيهِ عند وداعهم (يوحنّا ١٧ : ٢٣) ان يكونوا مكمّلين في الوحدة . وما قلبهُ الاقدس سوى مثالٍ لذلك الحب الخالص والالفة السامية التي تبعث في الانسان المراطف الشريفة لتضحية نفسهِ لصالح العموم وخدمة الوطن

وما قولنا بالمواعيد العجيبة التي تنازل الربّ وردّدها على مسامع أمتهِ القديسة مرغريتا مريم ألاكوك وهي تشمل الجماعات كما تعمّ الافراد تُسعد الشعوب كما توآنف العيال . فهي التي حملت ارباب دول عديدة على ان يطلبوا تكريس بلادهم الى قلب يسوع فهذه اسبانية وبلجيكة ومعظم جمهوريّات اميركة الوسطى والجنوبيّة ثمّ اوستراليا التجأت كلّها الى حمى هذا القلب لتنال منهُ السلام الوطيد . وها فرنسة التائبة الشاكرة بعد انتصارها الاخير ووفاء بنذرها الذي نذرتهُ بعد الحرب السبعينيّة قد دشّنت في ١٦ ت ١ سنة ١٩١٩ ذاك الهيكل الفخم الذي اقامتهُ على رابية مونمرتر المشرفة على باريس كعنوان حبّها واخلاصها لقلب الاله وتكفيرها عن آثامها . فما اجدرُ باللبنانيين ان يلوذوا بذاك القلب الذي خفق على سواحل بلادهم وابدى في تخوم جبلهم آيات حبّهِ ورحمتهِ وأسمعهم صوت حنانهِ بقولهِ (مرقس ٨ : ٢) : «اني اتحنّن على الجمع» وكشف لهم بجربة الجندي كنوز قلبهِ . فلا جرم انهم بحقّ الوطنيّة اولى بنعم ذاك الاله فاذا تقرّبوا منهُ نالوا من مراحمهِ سهماً أفوز ومن سوابغ بركاتهِ حظًّا اوفى

هذا الى دالّةٍ للطائفة المارونيّة على قلب المخلّص وذاك لسبقها الى التعبُّد لهُ في

الشرق قبل انتشار تلك العبادة في العالم وبينما كان كثيرون يتصدّون لها ويناهضونها. ومعلوم انّ السيّد المسيح اوحى بالعبادة نحو قلبه الى القديسة مرغريتا مريم المتوفاة سنة ١٦٩٠ وانّهُ اختار لنشرها الرهبانيّة اليسوعيّة وكان المرسلون اليسوعيّون قد احتلّوا لبنان ومدن سوريّة منذ السنة ١٦٢٥ فما بلغهم في رسالتهم السوريّة رغبة السيّد المسيح في نشر العبادة الى قلبه حتّى اسرعوا الى اتمام وصيّته. وقد وجدوا في الشرقيين عموماً وفي الموارنة خصوصاً آذاناً صاغية وقلوباً واعية. وممّن دعوهم الى ذلك الآباء يوسف بُون (١٦٩١†) مؤلّف كتاب سوريّة المقدّسة. والاب اغناطيوس كليُون (١٦٩٢†). ولاسيما الاب بطرس فروماج الذي استوطن الشهباء مدّة سنين عديدة فانشأ في حلب اخويّة على اسم القلب الاقدس جعل مركزها في كنيسة الموارنة التي على اسم النبي الياس. فوجدت هذه الشركة التقويّة اقبالاً عظيماً واشترك فيها جمهور من المؤمنين وكان من جملتهم الطيّب الذكر جبرائيل فرحات الذي سُقف بعد ذلك على حلب وبُرف بجرمانوس فقال يتغزّل بجمال قلب يسوع معرّضاً بشرف تلك الاخويّة المقدّسة ولعلّهُ اوّل شعر قيل في مديح القلب الالهي استهلّهُ بقوله :

يا قلبُ طرّ من وكْنَة الاحشا ... نحو الحبيب الفاخر الأزْياء
وردِ المنازل حيثُ وردُ حبّهِ ... تجدِ الحياةَ بتلكمُ الاحياء

ثمّ قال :

قلب الالهِ يسوعَ أسنى بَهْجتي ... او بُغْيَتي او مُنْيتي وهنائي
يا قلبَ ربّي انت غايةُ مأربي ... يا ربَّ قلبي انتَ كنزُ غنائي
يا لجّة الجود الالهيّ الذي ... اغنى الورى بوابغ الآلاء

الى ان اشاد بمديح الاخويّة مقتبساً كلامهُ من سفر نشيد الاناشيد فقال :

من شاء فوزاً فليجئ اخويّتي ... سَعْداً لآتٍ حلَّ تحت لوائي
ولْيكتسِ الثوبَ الذي ألبستُهُ ... لعروستي اخويّتي بحجائي
ولْيشهرِ بعبادتي مستمسكاً ... قانونيَّ المرسوم من تلقائي
اخويّتي بستانُ زهرٍ مبهجٍ ... يحوي طيوب البرّ والنقواء
فلا تزلنَّ إلى بُسَيْتين حوى ... احواضَ طيبٍ انَّ فيهِ عزائي
كي احتوي مُرّي وأرْوي اغتذي ... بل استقي لُبّي وخمري الباقي
يا اخوتي واحبّتي فتجرّعوا ... من خمرتي ثمّ اسكروا جدواني
كي تنشروا اخويّتي فلأنّها ... مجدي وفيها احتوي نسماني

وقد ازدهرت تلك الاخوية في حلب طول مدّة القرن الثامن عشر فأتت بأثمار شهيّة

وما لبثت تلك العبادة ان انتشرت في سائر لبنان بل في انحاء الشام وعلى الاخص بين الموارنة. وقد ذكرنا سابقاً (المشرق ٢ [١٨٩٩] : ٥٨٤) تشييد هيكل على اسم القلب الاقدس في دمشق في اواسط القرن الثامن عشر كان يتوارد اليه الزوّار كما انّ صورتهُ كانت تُكرم في بعض الكنائس منها كنيسة مار يوسف غوسطا المشيّدة على نفقة الملك لويس الخامس عشر حيث عُرضت صورة قلب يسوع وقلب مريم الاقدسين لاكرام العموم. وقد رأينا قبل عشرين سنة في كنيسة دير النبي الياس شويًّا للروم صورةً قديمة لقلب يسوع لعلّها ترتقي الى ذلك الزمان

ولم يكتفِ الموارنة بالتعبُّد للقلب الالهي بل اجابوا الى ملتمسهِ واقاموا لهُ عيدًا في يوم الجمعة الواقعة بعد الاسبوع المخصَّص لاكرام جسد الرب فاحتفلوا بهِ احتفالهم للاعياد الممتازة حتى انَّ البعض منهم كانوا يمتنعون عن الاشغال العاليَّة. ولدينا نسخة قديمة من سنكسار الطائفة المارونيَّة للمطران جرمانوس فرحات بالقلم الكرشوني وفيها (ص٥٢٥–٥٢٧) ذكر عيد قلب يسوع وملخَّص تاريخهِ مع ذكر براءتَي الحبرين الاعظمين اينوشنسيوس الثاني عشر واقليمنضوس الحادي عشر المثبتَيْن لتلك العبادة. وممَّن شهد على قدم هذه العبادة بين الموارنة السيّد البطريرك يوسف اسطفان (١ في رسالتهِ الى الكرسيّ الرسولي سنة ١٧٧٣ حيث يقول :

«عيد قلب يسوع الاقدس وعبادتهُ في كلّ طائفتنا الممتدَّة بهذه الاصقاع الشرقيَّة امتدادًا منَّصمًا (كذا) ليس هما حديثان (كذا) ولا خاصَّان بأنفار مفردين ... بل انما عيد وعبادة عامَّة مشاعة منادى بها في كلّ الطائفة منذ ابتدي (كذا) هذا الجيل الثامن عشر. وهذا الامر يتَّضح جليًّا من سنكساري المطران جرمانوس فرحات الذي درج في كلّ كنائس الطائفة كما هو واضح لكلّ احد»

وممَّا زاد انتشار عبادة قلب يسوع في لبنان انشاء دير راهبات الزيارة في عينطورا الذي همَّ بتشييدهِ مشايخ بيت الخازن فتمَّ بناؤهُ ودُشّن في رأس السنة ١٧٤٦

١) (اطلب ترجمة حياتهِ للقس بولس عبُّود الغوسطاوي ج ٢ ص ٨١)

وتولى ادارتهُ الآباء اليسوعيُّون المقيمون قريباً منهُ (١ . ولمَّا كانت رهبانيَّة الزيارة قد دعاها الربّ بواسطة راهبتها القديسة مرغريتا مريم الى نشر عبادة قلب يسوع فكان وجود احد ديرتها في لبنان باعثاً عظيماً لنموّ هذه العبادة

على انَّهُ لا يسعنا السكوت عمَّا ابتُخست بهِ تلك العبادة مدَّةً بسبب الراهبة هنديَّة عجيميّ الحلبيَّة التي استفزَّتها الهستريَّة والاهواء الباطلة فادَّعت بالرؤى والعجائب ونسبت الى القلب الاقدس عواجس مخيلتها واضغاث احلامها فأقلقت لبنان وشوَّشت العُقول وبلغ خبرها الكرسيّ الرسوليّ الذي بعد الفحص المتواتر امر بالغاء رهبانيَّتها وهكذا انقشعت تلك السحابة وتميَّز الغثّ من السمين وصرَّح الحق عن محضهِ

وقد ساعد كثيرًا ما وُضع وقتئذٍ من التآليف الحسنة لتعريف عبادة قلب يسوع وجدنا بينها ما تولَّى نشرهُ الموارنة مع المرسلين اليسوعيّين فمن ذلك تساعيَّة مخطوطة تتضمَّن تقادم يوميَّة لقلب يسوع الاقدس مع مواضيع للتأمل صباحاً ومساء، في مناقبهِ واعتبارات ونتائج ومقاصد لكل يوم مع طلبة قلب يسوع القديمة . وهي من مخطوطات القرن الثامن عشر . منها نسخة ثانية تاريخها سنة ١٨١٥ يقال في اوَّلها « نكتب الاستعداد لعيد قلب يسوع الاقدس الذي هو عيد جمعيَّتنا المقدَّسة »

ومنها الرسالة الجليلة التي كتبها في حلب الاب بطرس فروماج اليسوعيّ سنة ١٧٢٩ وضعها في ١٣ فصلاً وجعلها كدستور شركة قلب يسوع التي انشأها في كنيسة الموارنة هناك فاوضح فيها ماهيَّة تلك العبادة وتاريخها وخواصها ومنافعها مع ذكر قوانينها . وفي السنة ١٧٣٥ نال تثبيتها من الكرسيّ الرسوليّ مع عدَّة غفارين يمكن المشتركين بحبها نمَّا تكرَّم بمنحهِ الحبر الاعظم اكليمنضوس الثاني عشر للاخويَّة الحلبيَّة

ومنها تأمُّلات لشهر قلب يسوع عددها ٣١ تأمُّلاً اوَّلها « عذوبة قلب يسوع الاقدس » ثم رحمتهُ ثمَّ دعة قلبهِ الرؤوف ثم جمالهُ الخ . وبعد كلّ تأمل ابتهالات خشوعيَّة . ونسخة مكتبتنا الشرقيَّة مخطوطة منذ نحو ٨٠ سنة ولا يُذكر اسم مؤلفها . وقد استفدنا من عدد آذار الاخير من مجلَّة رسالة السلام الغرَّاء (ص٩٣ — ١٠٠) انَّ مؤلَّف هذا الكتاب هو « الاب يواكيم بلاديون بليط الارمني الحلبيّ الكاثوليكي فالراهب الماروني اللبنانيّ المولود في حلب سنة ١٧١٦ والمترهب سنة

١) اطلب في المشرق (٦ : ٧٠٤) تاريخ هذا الدير بقلم احد الآباء اللازريين

١٧٣٦ الفة اجابةً لطلب راهبات رهبانيَّة قلب يسوع الاقدس المؤسَّسة في دير سيِّدة بكركي من الراهبة هنديَّة المشهورة ٠٠ وهذه النسخة توافق تماماً نسخة مكتبتنا في تأملاتها وصلواتها الخمس عشر الاخيرة الَّا المقدِّمة التي هي في نسختنا اطول ولا ذكر فيها للمؤلف ولا للراهبة هنديَّة ورهبانيَّتها غير انَّ الابتهالات كلَّها عن لسان عابدة او راهبة تقيَّة ٠ وعلى كلّ حال نوافق حضرة القسّ لويس بليبل على نفاسة هذا الكتاب ومحتوياته التقويَّة لا شيْ فيه من سفاسف هنديَّة وقد الَّفهُ صاحبهُ قبل شرودها لأنَّ تاريخ نسخة حضرتهِ السنة ١٧٥٣

ومنها ايضاً كتاب الكنز الانفس في عبادة القلب الأقدس الذي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج في صيداء السنة ١٧٣٥ يحتوي سيرة القديسة مرغريتا مريم ألاكوك للمطران لانكه اسقف سواسون ٠ وهذا الكتاب نُشر طبعاً في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٨٦ على نفقة راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين

ومنها ايضاً في مكتبتنا الشرقيَّة رياضة تأملات وقراءات وافعال تقويَّة اكراماً لقلب يسوع للاب اسكندر درويل (Al. de Rouville) اليسوعيّ وضعها في اواسط القرن الثامن عشر ثمَّ استخرجها من اللغة الايطاليَّة الى اللغة العربيَّة بطرس جرمانوس صادر الماروني الحلبي سنة ١٨٤٢

هذا دون ما نُشر بالطبع بعد ذلك في بيروت وغيرها وما عدا كتباً أُخرى وُضعت عن سرّ القربان الاقدس ومحبَّة السيد المسيح مثل كتاب محبَّة يسوع الذي استخرجهُ الخوري اندراوس القبرسيّ الماروني تلميذ المدرسة المارونيَّة في رومية ومعلِّم اللغتين السريانيَّة والعربيَّة في مدرسة الحكمة في رومية وترجمان المجمع المقدَّس وذلك سنة ١٧٣٧ وكتاب يسوع الحبيب ومريم المحبوبة للاب نيرمبرج اليسوعي الذي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج وكتاب اتحاد يسوع مع الانسان في سرّ الافخارستيَّا المقدَّس ٠ ومنها كلها نسخ مختلفة في مكتبتنا الشرقيَّة وبعض اديرة لبنان كانت تبعث في القلوب محبَّة ابن الله والعبادة الصادقة لقلبهِ الاقدس حتَّى اصبح هذا التعبُّد كاحد مميِّزات الطوائف الكاثوليكيَّة في لبنان والشام ٠ ولو اردنا بسط الكلام في مجاليهِ بين كلّ طائفةٍ فرداً فرداً منذ ذاك الحين الى يومنا لأدَّى بنا الى الطول الممل ٠ فكم شُيِّد على اسمهِ من كنائس وبيع وكم اقيم لذكرهِ من الاحتفالات من عباد[illegible] سهريَّة

في حزيران وتساعيّات وطوافات وزيّاحات وفروض تعويض . وكم أُنشئت من جماعات رهبانيّة وشركات ومدارس تحت شفاعته نخصّ منها بالذكر جمعيّة راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين المنشأة في لبنان في اواسط القرن السابق

وما قولنا بالنعم والعجائب التي جرت في عدّة امكنة بشفاعة القلب الالهيّ منها نجاة مدينة زحلة من الطاعون بعد نذر اسقفها بتعييد عيده سنويًّا والتطواف بالقربان الاقدس . ومنها صيانة كلّ اهل حمص من الوباء حينما عُرضت في البيوت صورة القلب الاقدس وغير ذلك ممّا أثبت لكل ذي عين عظمَ شأن هذه العبادة وبركاتها العميمة

وذاك ما دفع الحبر الاعظم بيوس التاسع في منشور وجّههُ الى الشرقيين في تاريخ ٨ ك ١ سنة ١٨٦٤ الى ان يحضّهم على التعبّد الصادق لقلب يسوع الملوء عذوبةً وحلاوةً فيلوذوا بهِ في كلّ حاجاتهم . ولمّا كانت السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر تقدّم قداسة امام الأحبار البابا لاون الثالث عشر بان يحتفل بعيد قلب يسوع بغاية ما يمكن من الأبهة والرونق مدّة ثلثة ايّام في الكنيسة باجمعها فكان ذلك الاحتفال مهيباً جدًّا حضرهُ نحو عشرة آلاف شخص في باحات كليّتنا . ثمّ كرّس في ختام ذلك القرن في نصف ليلة ٣١ كانون الاوّل ومفتتح القرن العشرين العالم كلّهُ لذلك القلب الالهيّ

فتكريس لبنان الكبير الى قلب يسوع انّما هو تصريح عمومي واعلان رسمي بتشبّث اهلهِ باهداب حمايتهِ وباعتصامهم غير المنفصم بركنهِ الازليّ فبحقّ هذا التكريس تتولّد وشيجةٌ جديدة بين اللبنانيين وقلب ربّهم عليها تترتّب حقوق متبادلة بموجبها يجعل ابنُ الله جبلنا العزيز وكافّة سكّانهِ تحت حماهُ فيدرأ عنهم الآفات والبلايا الروحيّة والزمنيّة ويفيض عليهم اغزر نعمهِ كما انّهُ يقتضي على اللبنانيين ان يثبتوا في خدمتهِ وامانتهِ ويكرموهُ اكرامهم لوليّ نعمتهم ويجعلوا عليهِ اتّكالهم في كلّ احوالهم . فطوبى للبنان ان بقي اميناً في وفاء وعدهِ فانّهُ سيكون موطن السلام ومرتع الرغد والهناء على مدى الدهر حقّق الله الاماني بأيدهِ وكرمهِ